

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا  
حَسَنَةً ۗ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا  
وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٧﴾ (سورة النحل)

\* \* \*

## هجرة المسلمين إلى الحبشة

### دراسة نقدية\*

بقلم : عبد الرحمن كيلاني

إن هجرة المسلمين الأوائل من الجزيرة العربية إلى أرض الحبشة في عام ٥ للهجرة (٦١٤ م) كانت أحد أهم أحداث التاريخ الإسلامي ، ومع هذا فإن مؤرخي الإسلام ، فضلاً عن غيرهم ، لم يعطوا هذا الحدث اهتماماً كافياً ، إما بسبب قلة الروايات التاريخية المتعلقة به ، أو لاعتقادهم بضالة الأثر الذي تركه في التاريخ. بل إن المؤرخين الذين ذكروا هجرة المسلمين إلى الحبشة في كتاباتهم ، وخصوصاً المستشرقين منهم، قد اختاروا في أبحاثهم ما بدا لهم من روايات حفظتها لنا كتب التاريخ الإسلامي ، دون التأكد من صحتها. وليحفظ الله تعالى تعاليم دينه ، فقد وفق علماء المسلمين الأوائل إلى تطوير علم دقيق عرف فيما بعد بعلم مصطلح الحديث. وكما هو معلوم فإن علم الحديث قعد القواعد التي من خلالها يحكم على أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين إما بالصحة أو بالضعف. وهذا البحث بدوره يناقش هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة على ضوء علم الحديث الشريف مع التركيز على مسألتين هامتين وهما : إسلام النجاشي ملك الحبشة ، وتحول عبيد الله بن جحش من الإسلام إلى النصرانية .

\* قدم أصل هذا البحث باللغة الإنكليزية لمادة «تاريخ إفريقية قبل فترة الاستعمار الحديث» في إحدى الجامعات الأمريكية. وقد ترجم وُعدّل فيه بعض الشيء ليناسب القارئ العربي . (حقوق الطبع محفوظة للكاتب).

لقد أعطى المسلمون مبكراً اهتماماً خاصاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وبفضل ملكة الحفظ التي تميز بها العرب عن غيرهم من الأمم فقد نقل رواة الحديث الشريف تعاليم الإسلام من جيل إلى آخر دون تدوين هذه المعرفة بالشكل الذي عرفت به فيما بعد (في القرن الثالث الهجري وما بعده) ، وكل هذه الروايات التي نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم حفظت بين دفتي كتاب. فعندما انتشر صحابته صلى الله عليه وسلم ، حملة القرآن والسنة، مع انتشار الإسلام ، حملوا معهم العلم الذي ورثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واستقر كثير من هؤلاء الصحابة الكرام في المناطق الجديدة التي دخلها الإسلام وأسسوا المدارس التي أصبحت مراكز للعلم ، مثل البصرة والكوفة في العراق ، ودمشق وبيت المقدس في بلاد الشام ، والفسطاط والإسكندرية في مصر ، وغيرها من المدن في إفريقية وفارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر، بالإضافة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

لقد كانت علوم القرآن الكريم والسنة المشرفة تدرّس في كل مساجد العالم الإسلامي ، وكان من عادة طلاب العلم أن يرحلوا طلباً للحديث الشريف من العلماء الذين رووه عن الصحابة أو التابعين أو ممن روى عنهم . إن مثل هذه الرحلات كان يرغب بها العلماء ويشجعون تلاميذهم للقيام بها ، حتى أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم قد فعلها ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجل برك الغماد لرحلتُ إليه »<sup>1</sup>.

وصحابي آخر، هو جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما (ت ٧٨هـ) سافر لمدة شهر من المدينة إلى دمشق ليسأل أخاه الصحابي عبد الله بن أنيس رضي الله عنه عن حديث خفي عليه يتعلق بإحدى مسائل القصاص<sup>2</sup> . وقد استمرت الرحلة في طلب الحديث حتى بعد تأسيس المدارس التي دعيت بدور الحديث في كثير من المدن الإسلامية.

### تدوين الحديث

لم يكن هناك كتبة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قد كُفِّفوا بتدوين الحديث الشريف ، كما هي الحالة بالنسبة لتدوين القرآن الكريم ، لكن هذا لا ينفي أن دُوِّنَتْ أحاديث في حياته صلى الله عليه وسلم . ففي السنوات الأولى للإسلام في مكة كان القرآن الكريم ، بأسلوبه وتعبيره ، جديداً على العرب ، لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة حديثه في البداية خوفاً من أن يختلط بكلام الله تعالى ، لكن عندما ذهب خوفه صلى الله عليه وسلم وعلم أن القرآن قد ثبت في صدور الرجال أذن للصحابة بكتابة حديثه. وقد بدأ بعض الصحابة بتدوين بعض أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم ، من بينهم : سعد بن عبادة ، وعبد الله بن عوف ، وسمرة بن جندب ، وجابر بن

<sup>1</sup> صبحي الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه : عرض ودراسة ، طبعة ١٦ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦) ، ص ٥٣-٥٤ .  
<sup>2</sup> المصدر السابق .

عبد الله الأنصاري ، وعبد الله بن عمرو بن العاص السهمي ، وعبد الله بن عباس ، وأبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، رضي الله عنهم أجمعين<sup>3</sup> .

وأما التابعون الكرام الذين تلقوا العلم عن الصحابة رضي الله عنهم ونقلوه بدورهم إلى تابعيهم ، فقد دونوا بعضَ روايات الحديث الشريف التي رووها عن الصحابة الكرام . وقد حفظ لنا إمام الحديث البخاري رحمه الله في كتابه «الصحيح» كتابَ الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ) - رحمه الله - وهو يأمر أبا بكر بن حزم (ت ١٢٠ هـ) بجمع الحديث ، يقول :

أَنْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَبِطْ بِإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَكَهَابَ الْعُلَمَاءِ وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَشَّشُوا الْعِلْمَ وَتَتَجَلَّسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا<sup>4</sup> .

بالإضافة إلى هذا ، فقد أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز محدث الشام والحجاز محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤ هـ) رحمه الله بتدوين الحديث الذي يحفظه. وانتشر تدوين حديث النبي صلى الله عليه وسلم في القرن الثاني من الهجرة. ومن الذين دونوه كان: ابن جريج (ت ١٥٠ هـ) في مكة، ومحمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) في المدينة، والربيع بن صبح (ت ١٦٠ هـ) وسعيد بن عروة (ت ١٥٦ هـ) وحماد بن سلمة (ت ١٧٦ هـ) في البصرة، وسفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) في الكوفة، وعبد الرحمن الأوزاعي (ت ١٥٦ هـ) في الشام، وغيرهم كثير من علماء المسلمين في اليمن وفارس وخراسان<sup>5</sup> . وقد استمر تدوين الحديث حتى جاء إمام الحديث محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله (ت ٢٥٦ هـ) ودون كتابه العظيم الذي عرف باسم «صحيح البخاري». وقد دون الحديث علماء آخرون مثل الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، ومحمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، وأحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤٠ هـ)، وأبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ)، وأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، ومحمد بن يزيد بن ملحة (ت ٢٧٣ هـ)، وغيرهم من العلماء كثير، حيث كانوا هم من ذلل الطريق لوضع قواعد علوم الحديث.

### علم مصطلح الحديث

قسّم المحدثون علم الحديث إلى قسمين رئيسين : علم الرواية وعلم الدراية . فعلم الحديث رواية يقوم على النقل المحرر الدقيق لكل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو صفة ، ولكل ما أضيف من

<sup>3</sup> نفسه ، ص ٢٣-٣٣ .

<sup>4</sup> البخاري ، كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم .

<sup>5</sup> أديب الصالح ، لمحات في أصول الحديث ، طبعة ٥ (بيروت: المكتبة الإسلامية، ١٩٨٨)، ٦٧-٦٩ .

ذلك إلى الصحابة والتابعين على الرأي المختار. وعلم الحديث درايةً فمجموعة من المباحث والمسائل يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد.<sup>6</sup>

وقد قسم العلماء دراسة علم الحديث إلى عدة فروع ، وهي :

١- علم الجرح والتعديل : وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم مما يشينهم أو يزيكهم بألفاظ مخصوصة.

٢- علم رجال الحديث : وهو علم يُعرف به رواة الحديث من حيث إنهم رواة للحديث .

٣- علم مختلف الحديث : وهو علم يبحث عن الأحاديث التي ظاهرها التناقض من حيث إمكان الجمع بينهما.

٤- علم علل الحديث : هو علم يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة من حيث إنها تقدر في صحة الحديث كوصل منقطع ، ورفع موقوف ، وإدخال حديث في حديث وما شابه ذلك .

٥- علم غريب الحديث : يبحث عن بيان ما خفي عن كثير من الناس معرفته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أن تطرق الفساد إلى اللسان العربي .

٦- علم الناسخ والمنسوخ : وهو علم يبحث عن الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ وعلى بعضها الآخر بأنها منسوخ.<sup>٧</sup>

والحديث الشريف من ناحية درجته يقسم إلى ثلاث أقسام رئيسية : صحيح ، وحسن ، وضعيف مردود ، حيث يندرج تحت القسم الأخير أكثر من ١٧ قسماً ، وقد أوصله بعضهم إلى نيف وأربعين قسماً<sup>٨</sup>.

واستناداً لما سبق ، فإن علماء الحديث الشريف هم من يستطيع التفريق بين الروايات الضعيفة والروايات الصحيحة، بما في ذلك الروايات المتعلقة بأحداث الهجرة إلى الحبشة . لكن قبل أن نتكلم عن بعض هذه الروايات ، لا بد أن نعرِّج - ولو باختصار - على العلاقات العربية - الحبشية قبل الإسلام .

### علاقات الجزيرة العربية بالحبشة قبل الإسلام

قبل مجيء الإسلام ، كانت العلاقات بين الجزيرة العربية مع الحبشة قائمة ، وخصوصاً بين المناطق الجنوبية لكل من الجزيرة العربية والحبشة ، حيث تفصل مسافة ١٥ ميلاً بين قارتي آسيا وإفريقية عند مضيق باب المندب. وقد وجد علماء الآثار أن «ثقافة جنوب الجزيرة العربية قوية في إثيوبية»<sup>٩</sup> ، وذلك في القرن السابع قبل الميلاد ، إلى درجة أنه

<sup>6</sup> صبحي الصالح ، ١٠٧ .

<sup>7</sup> المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

<sup>8</sup> محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، الطبعة ٨ (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٧)، ٦٢ .

<sup>9</sup> Gus W. van Beek, "Monuments of Axum in the Light of South Arabian Archeology," *Journal of the American Oriental Society*, 87, no. 2 (Apr.-Jun., 1967): 113-122.

و«لفترة عدة قرون - بعد القرن السابع ق.م - كانت الثقافة المادية لإثيوبية وجنوب الجزيرة العربية متماثلة»<sup>10</sup>، حيث وجدت تماثيل وخزف متشابهة في كلا الجانبين من البحر الأحمر ، هذا بالإضافة إلى التأثير اللغوي القوي على اللغات الإثيوبية التي تعتبر ضمن اللغات السامية . ومع أن الاتصال بين جنوب الجزيرة العربية وإثيوبية قد بدأ بالانحطاط بسبب تراجع تجارة اللبان والمر إلا أنه بدأ بالصعود عند وصول النصرانية إلى إثيوبية . ويروي لنا التاريخ كيف عبر الجيش الحبشي البحر الأحمر واحتل اليمن مرتين : مرة في عام ٣٣٥ ق.م ، ومرة في عام ٥٢٥ م حيث مكث الحبشيون فيها إلى عام ٥٧٥ م عندما استغاث اليمينيون بالفرس لطردهم من اليمن بسبب ظلمهم وبطشهم<sup>11</sup> .

من الناحية الجغرافية والجيولوجية فإن إثيوبية وجنوب الجزيرة العربية متشابهتان في طبيعة الأرضية والمناخ والحياة النباتية والحيوانية . وبسبب الاتصال المستمر بين المنطقتين وشعبيهما ، بدت ثقافة ولغة كل منهما معروفة للآخر.

لقد أطلق العرب اسم «الحبشة» على إثيوبية وأهلها . واستناداً إلى المعجم فإن كلمة «الحبشة» تعني : «مجموعة من الناس اختلطت أجناسهم»<sup>12</sup> وهذه الأجناس - كما هو معروف - هم الساميون في جنوب الجزيرة العربية والحميون في إفريقية.

#### هجرة المسلمين إلى الحبشة

لماذا هاجر المسلمون الأوائل من مكة - مدينتهم المحببة إلى قلوبهم - إلى بلد لم ينزلوه من قبل؟ ولماذا اختاروا الحبشة ملجأً لهجرتهم؟ جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه »<sup>13</sup> . فشخصية النجاشي وصفة العدل التي كانت يتمتع بها كانتا ، بلا شك ، من الأسباب التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمر أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة . وهناك بعض الأسباب المحتملة لاختيار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة دون غيرها من الأماكن وهي أن أرض النجاشي قريبة من مكة ، فالمسافة بين الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر وغربه تبلغ حوالي ١٤٠ ميلاً ، ويعتبر حاجزاً طبيعياً بين الجزيرة العربية وإفريقية حيث لا يمتلك أهل مكة أسطولاً بحرياً لملاحقة المهاجرين إليها . وثمة سبب آخر محتمل وهو أنه ليس هناك أي اتفاق أو حلف بين أي من أحياء العرب وبين نجاشي الحبشة لرد الهارين من العرب في الحبشة إلى الجزيرة العربية ، وهذا يعني أنه ليس للعرب سبيل للتأثير على قرار النجاشي في قبول المهاجرين إليه أو طردهم من أرضه<sup>14</sup> .

<sup>10</sup> المصدر السابق .

<sup>11</sup> نفسه .

<sup>12</sup> إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط (إستانبول: دار الدعوة، ١٩٨٦)، ص ١٥٢ .

<sup>13</sup> انظر عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية، ٣٤٩/١ . والحديث إسناده جيد كما ورد في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني حديث رقم ٣١٩٠ .

<sup>14</sup> صالح أحمد الشامي ، السيرة النبوية : تربية أمة وبناء دولة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٢)، ص ١١٢ .

تكلم المؤرخون المسلمون عن موجتين للهجرة إلى الحبشة ، حيث كانت الموجة الأولى في أوائل شهر رجب في السنة الخامسة للبعثة (٨ ق. هـ) وكانت مؤلفة من أربعة عشر مهاجراً : عشرة رجال وأربع نساء بإمرة عثمان بن مظعون رضي الله عنهم. لكن هذه المجموعة من المهاجرين لم تلبث أن رجعت أفرادها إلى مكة بعد أربعة أشهر قضوها في الحبشة بسبب وصول إشاعات إليهم أن أهل مكة قد أسلموا. لكن الحقيقة كانت بعكس ذلك ، فما أن وصل المهاجرون إلى مكة حتى اكتشفوا أن اضطهاد المشركين من أهل مكة للمسلمين قد زاد. ونتيجة لذلك انطلقت الموجة الثانية من المهاجرين إلى الحبشة، لكن بأعداد أكبر هذه المرة: اثنان وثمانون رجلاً وثمانية عشر امرأة تحت إمرة ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه.<sup>15</sup>

ومع أن المؤرخين المسلمين لم يذكروا في رواياتهم التفاصيل عن الطريق التي سلكها المهاجرون للوصول إلى الحبشة ، إلا أن بعض الروايات تذكر أن المهاجرين قد انطلقوا من مكة غرباً باتجاه البحر الأحمر واستقلوا سفينتين حملتهم إلى الحبشة<sup>16</sup>. والغالب أنهم ركبوا البحر من «الشُعبيّة» وهو ميناء مكة القديم قبل جدة - كما يذكر ياقوت الحموي<sup>17</sup> - ووصلوا إلى ميناء «عديل» أو «أدوليس» على سواحل أريتريا اليوم<sup>18</sup>. بالإضافة إلى هذا الطريق البحري المباشر ، فإن هناك طريقاً أخرى قد سلكها أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما عزم الهجرة إلى الحبشة. جاء في صحيح البخاري أن الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت:

لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية. فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة ، وهو سيد القارة ، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة : فإن مثلك لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك بليلتك ، فرجع. وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به ، فإننا قد نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فإنه،

<sup>15</sup> محمود شاكر، مع الهجرة إلى الحبشة ، (بيروت: المكتب الإسلامي ، ١٩٨٧)، ص ٣٤. اتفق المؤرخون على أن عدد الرجال المهاجرين كان ٨٢ رجلاً، لكن اختلفوا في كون عمار بن ياسر معهم أم لا، فإذا كان معهم فإن عدد المهاجرين من الرجال يصبح ٨٣ رجلاً.

<sup>16</sup> محمد الغزالي، فقه السيرة، الطبعة ٧، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦)، ص ١٢٢-١٢٣.

<sup>17</sup> ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠٥١/٥.

<sup>18</sup> أدوليس ميناء قديم يقع جنوبي مصوع. وصف في القرن الأول بأنه قرية كبيرة. كانت هناك علاقات تجارية بين أدوليس وجزيرة العرب وفارس والهند. انظر:

فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ،  
فإننا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان... الحديث<sup>19</sup>.

والشاهد من هذا الأثر هو اتخاذ أبي بكر الصديق رضي الله عنه طريق اليمن جنوباً إلى برك الغماد بدلاً من  
اتخاذ الطريق إلى ميناء الشعبية ومنها إلى الحبشة. فبرك الغماد (حالياً ضمن إمارة مكة) واقعة في أرض اليمن  
التاريخية على شاطئ البحر الأحمر في منتصف المسافة بين مينائي القنفذة وجيزان<sup>20</sup>. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل  
على عمق العلاقة بين سكان شاطئ البحر الأحمر من الناحية التجارية والبشرية وتعدد طرق الاتصال بينهم.  
لقد وردت أحداث الحبشة في روايات عديدة من أشهرها حديث أم سلمة هند بنت أمية رضوان الله عليها،  
وكانت ممن هاجروا مع زوجها إلى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية، وحديثها - كما ذكر المحدثون - من درجة  
الحسن<sup>21</sup>. قالت أم سلمة رضي الله عنها:

لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا - بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذي، ولا نسمع شيئاً  
نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جليدين، وأن يهدوا للنجاشي  
هدايا مما يستطرف من متاع مكة. وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدماً كثيرة، ولم  
يتركوا من بطارقتهم بطريقاً إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة  
المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق  
هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم. ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن  
يكلمهم.

قالت: فخرجنا فقدمنا على النجاشي فنحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقتهم بطريق إلا  
دفعنا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، ثم قالوا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان  
سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى  
الملك فيهم أشرف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فتشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا  
يكلمهم. فإن قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قربا هداياهم إلى  
النجاشي فقبلها منهما ثم كلمه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين  
قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف  
قومهم، من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرتهم، لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم  
وعاتبوهم فيه.

<sup>19</sup> أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، (القاهرة: دار الريان للتراث، 1986)، (ج7/حديث رقم 3905).  
<sup>20</sup> انظر:

Zaki M. Farsi, *National Guide and Atlas of the Kingdom of Saudi Arabia*, (Jeddah: 1989), map no.128.

<sup>21</sup> مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، (صنعاء: مكتبة دار القدس، 1991)، 2/527. والحديث رواه أحمد في مسنده.  
وانظر عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (القاهرة: دار الريان للتراث، 1987)، 1/376-374.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم [أي كلام المسلمين]. فقالت بطارقه حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله أيم الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قوماً جاوروني نزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسلمهم ماذا يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهم ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قال: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كائن في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وأمانا واتبعناه على ما جاء به. فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمتنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث. فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك ما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم فقال له النجاشي فاقراه علي، فقرأ عليه صدرًا من (كهيعص) قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والله، والذي جاء به عيسى، ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لأنبئهم غداً عييبهم عندهم، ثم أستاصل به خضراءهم. قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا، لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد. قالت: ثم غدا عليه الغد فقال

له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فأسألم عما يقولون فيه؟ قالت : فأرسل إليهم يسألمهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا : نقول والله فيه ما قال الله، وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم، ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال فقال: وإن نخرتم والله؟ اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم : الأمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبراً ذهباً وإني آذيت رجلاً منكم - والدبر بلسان الحبشة الجبل - ردوا عليهم هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين، مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به، يعني من ينازعه في ملكه، قالت: فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزنا عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. قالت : وسار النجاشي، وبينهما عرض النيل قالت: فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم، ثم يأتي بالخبر؟ قالت: قال الزبير بن العوام: أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سناً، قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت : ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهو بمكة.

استمر تواجد الإسلام في الحبشة من سنة ٨ قبل الهجرة إلى السنة ٧ للهجرة، وقد ذكرنا آنفاً أن كثيراً من المهاجرين قد رجعوا إلى مكة لما علموا بعزم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، فقد رجع ٣٣ رجلاً و٤ نساء وطفلان قد ولدا في الحبشة، ومن هؤلاء عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وأم سلمة وزوجها، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بعد أن خطبها النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت زوجها في الحبشة ، وغيرهم . بل قد هاجر من الحبشة من مهاجري مكة إلى المدينة مباشرة لما علموا بعزم النبي صلى الله عليه وسلم للهجرة إلى المدينة ، وذلك لما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها - والذي ذكرنا قطعة منه آنفاً- حيث قالت فيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر إلى أرض الحبشة إلى المدينة...الحديث<sup>٢٢</sup>. ثم تبعهم بعد ذلك

<sup>22</sup> فتح الباري، ٧/٣٩٠٥.

خسة آخرون بعد انتصار المسلمين في وقعة بدر في السنة الثانية للهجرة<sup>٢٣</sup>، بينما رجع الباقون عقب فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة، وكان من بين هؤلاء جعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس وأولادهما وغيرهم من الأشعريين الذين نزلوا الحبشة وهم في طريقهم مهاجرين من اليمن إلى المدينة. وسنذكر قصتهم قريباً بإذن الله. لم يكن عيش المسلمين في الحبشة عيشاً هنيئاً برغم حماية وجوار النجاشي لهم، فقد عانوا من الغربة، وهم أهل مكة التي أحبوا، ولولا ضيق العيش فيها وظلم أهلها لهم لما خرجوا منها. وتعبّر إحدى المهاجرات الصابرات، وهي أسماء بنت عميس رضي الله عنها، عن شعورها وهي بعيدة في بلاد الغربة، فيروي أبو موسى الأشعري حديثها، يقول رضي الله عنه :

بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، إما قال بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة فألقننا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر. وكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة -: سبقناكم بالهجرة. ودخلت أسماء بنت عميس - وهي ممن قدم معنا - على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم زائرة - وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر - فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هذه، البحريةية هذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم. فغضبت وقالت: كلا والله! كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ويعط جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله صلى الله عليه وسلم. وإيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن كنا نؤذي ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا. قال: فما قلت له؟ قالت: قلت له كذا وكذا. قال: ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان. قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني<sup>٢٤</sup>.

\* \* \*

<sup>23</sup> وهؤلاء الخمسة هم: أبو الروم بن عمير، سليل بن عمرو، أبو قيس بن الحارثي، عامر بن وقاس، عتية بن مسعود (محمود شاكر، مع الهجرة، ص ٧٨). وقد جاء في حديث عائشة أنها قال: «... ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة...» (فتح الباري، ٣٩٠٥/٧).

<sup>24</sup> فتح الباري، كتاب الغزوات، باب غزوة خيبر، ٥٥٣/٧، حديث رقم ٤٢٣٠-٤٢٣١

وعلى ضوء قواعد علم مصطلح الحديث، سأناقش هنا مسألتين مهمتين لهما علاقة بهجرة المسلمين إلى الحبشة، وهما: إسلام النجاشي، وتنصر عبيد الله بن جحش في الحبشة.

### إسلام النجاشي

لقد أدت مسألة إسلام النجاشي - واسمه أصحمة بن أجزر - إلى نقاش طويل بين المسلمين وغيرهم، وخصوصاً المستشرقين، حيث رفض كثير منهم مسألة إسلام النجاشي - علناً كانت أم سراً - بعد اتصاله مع المسلمين الذين جاءوا مهاجرين من مكة إلى الحبشة. قال ج. سبنسر تريمينغهام - ويعتبر من المتخصصين في تاريخ الإسلام في إفريقية - عن روايات إسلام النجاشي بأنها «خرافات»<sup>25</sup>، بينما وصفها بول ب. هينز بأنها «مزاعم»<sup>26</sup>. وقد أرجع هينز قراءه في كتابه إلى كتاب «إثيوبية والشرق الأوسط» للكاتب الإسرائيلي إرليتش هاغاي «لناقشة هذه المزاعم...»<sup>27</sup>.

وإسلام النجاشي لم يؤثر على مستقبل الإسلام في الحبشة، حيث أن وصول الإسلام إلى الحبشة وانتشاره فيها قد تأخر لما بعد الهجرة بمدة. ومعلوم أن المسلمين الذين تركوا الحبشة ورجعوا إلى الحجاز لم يتركوا فيها أثراً يذكر، حسب المعطيات التي بين أيدينا. بل لو أسلم النجاشي علناً أمام الملأ لضر ذلك بالمسلمين ولوجدوا أنفسهم في مواجهة لا تحمد عقباه مع نصارى الحبشة، هم في غنى عنها، ولما استطاعوا - وهم قليل عددهم وفي أرض غريبة - أن يدفعوا عن أنفسهم أذى النصارى، فهم لم يأتوا إلى الحبشة إلا لأنها أرض صدق وأمان. ومن جهة أخرى فإن ردّ الروايات التي تفيد بإسلام النجاشي لا تخدم أي قضية، إلا قضية المستشرقين الذين يدعون أن الإسلام لا يجذب إليه سوى الفقراء والمعدمين وعامة الناس وليس الملوك والأمراء. وادعائهم هذا يكذبهم الواقع والتاريخ، فعندما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتبه إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام استجاب له بعضهم، منهم المنذر بن ساوى حاكم منطقة البحرين<sup>28</sup>، وحاكما عمان جيفر بن جلندي وأخوه عبد بن جلندي، وأمير اليمن الحارث الحميري وأخواه وغيرهم من أمراء اليمن<sup>29</sup>.

ومع أن النجاشي قد أظهر تعاطفاً واحتراماً كبيرين تجاه المسلمين، إلا أنه لم يثبت أنه أعلن إسلامه أمام الملأ من قومه، بل إن إسلامه كان سراً؛ يفهم هذا من الروايات الصحيحة، واتفق على ذلك علماء المسلمين، فقد ذكرت الروايات الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي صلاة الغائب لما جاءه نبأ وفاته وهو في المدينة فأمر أصحابه بالاستغفار له والصلاة عليه، فصلى عليه وكبر أربعاً<sup>30</sup>. وصلاة الغائب - كما هو معلوم - لا

<sup>25</sup> Spencer J. Trimingham, *Islam in Ethiopia*, 2d ed. (London: Frank Cass & Co. Ltd., 1965), 46, footnote no. 24.

<sup>26</sup> Paul B. Henze, *Layers of Time: a History of Ethiopia*, (New York: Palgrave, 2000), 42, footnote no. 38.

<sup>27</sup> لقد احتوى الفصل الأول من كتاب إرليتش عدة أخطاء دينية وتاريخية - ولا عجب! - فعلى سبيل المثال يدعي المؤلف أن أم أيمن، رضي الله عنها، وقد كانت أمة حبشية أعتقها النبي صلى الله عليه وسلم، كانت من ضمن الذين هاجروا إلى الحبشة في الدفعة الأولى، ولم يأت المؤلف بدليل على زعمه هذا. ومحمد بن إسحاق وغيره لم يدرجها بين أسماء الذين هاجروا إلى الحبشة.

<sup>28</sup> البحرين المذكورة هنا هي البحرين التاريخية التي كانت تمتد من البصرة في العراق إلى عمان (انظر ياقوت الحموي، مادة البحرين).

<sup>29</sup> محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، 2/318-319؛ وابن طولون الدمشقي، إعلام السائلين، ط. 2 (دمشق: مؤسسة الرسالة، 1987)، ص 19-22.

<sup>30</sup> انظر صحيح مسلم (55/3)، وأخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم في كتبهم.

تجوز أصلاً إلا على الميت المسلم ، فإذا كان النجاشي لم يسلم فكيف يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب؟ وعلّة إقامة صلاة الغائب على النجاشي أنه عُدِم وجود المسلمين وقت موته في أرضه للصلاة عليه ، أو أنهم كانوا متواجدين مع عدم استطاعتهم الصلاة عليه لغلبة النصارى على أمر الحبشة. وأما ما يدل على أنه أسلم سراً فرواية صريحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلوا عليه . قالوا: يا رسول الله! نصلي على عبد حبشي [ليس بمسلم]؟ فأُنزل الله عز وجل: «وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم، إن الله سريع الحساب» (آل عمران: ١٩٩) ٣١.

فهذا الحديث الصحيح يؤكد - على الأقل - أن المسلمين في المدينة لم يكونوا يعلمون بإسلام النجاشي رضي الله عنه، فأُنزل الله تعالى هذه الآية تأكيداً على إيمانه.

بل إن الروايات التي تذكر إسلام النجاشي علناً غير صحيحة ، منها ما رواه أبو داود عن عباد بن موسى قال حدثنا إسماعيل - يعني ابن جعفر - عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة عن أبيه ، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق إلى النجاشي فذكر حديثه. قال النجاشي : أشهد أنه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيتته حتى أحمل نعليه. قال الألباني عنه أنه ضعيف الإسناد ٣٢.

والخلاصة أن إسلام النجاشي ثبت بالأحاديث الصحيحة وأن إسلامه لم يكن علناً أمام قومه ، وإن كان هناك احتمال أنه قد أسرَّ به إلى بعض المسلمين لما كانوا عنده.

### تنصر عبيد الله بن جحش

وأما المسألة الثانية فهي تنصّر عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها في أرض الحبشة. إن هذه المسألة يركّز عليها في كتب غير المسلمين للطعن في الإسلام لتبرهن - بزعمهم - أن من المسلمين الأوائل من ارتد عن دين الله لما عرف النصرانية لأنها هي الدين الحق بزعمهم. بل يزعم هؤلاء أن عبيد الله بن جحش كان واحداً من عدة من المسلمين تنصروا ولم يكن هو الوحيد الذي غير دينه. يفهم هذا من كلام تريمغهام عندما قال: «... وبعضهم (يعني المهاجرين) - على كل حال - قد تحول إلى النصرانية فأصبحوا بذلك أول المنتصرين من المسلمين... وأحد هؤلاء المتحولين كان عبيد الله بن جحش» ٣٣. ثم يستشهد تريمغهام بكلام السير موير الذي

<sup>31</sup> محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (الرياض: دار المعارف)، ج ٧ حديث ٣٠٤٤. وقد أخرج هذا الحديث النسائي والبخاري وابن المذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. انظر محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٤)، ٤٧٦/١، ومحمد بن جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨)، ٢١٨/٣.

<sup>32</sup> محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن أبي داود، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩١)، ص ٣٢٥، حديث ٧٠٤.

<sup>33</sup> Trimmingham, 45.

نقل كلام ابن هشام في السيرة عن تنصر عبيد الله بن جحش. لكن الغريب في الأمر أن كلا الكاتبتين، تريمينغهام وموير، لم يأتيا بدليل واحد على تنصر «بعض المسلمين» عدا الرواية التي تذكر تنصر عبيد الله! وقد أورد أصحاب السير والتاريخ رواية تنصر عبيد الله نقلاً عن ابن إسحاق في «السيرة» وهي كما يلي: قال ابن إسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة قال: خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلماً، فلما قدم أرض الحبشة تنصّر. قال: فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: فتّحننا وصأصأتم، أي قد أبصرنا وأنت تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد<sup>34</sup>.

هذا الخبر، من الناحية الحديثية، لا يصح لأنه مرسل، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف، وهو الحديث الذي سقط صحابي من سنده، وعروة بن الزبير ليس صحابياً بل هو من التابعين ولم يرو خبره هذا عن أحد من الصحابة رضي الله عنه. وهذا الخبر - الذي اعتمده من قال بتنصر عبيد الله بن جحش - يدل على أن تنصر عبيد الله بن جحش - على أقل تقدير - مشكوك في صحته، فضلاً عن تنصر مجموعة أو بعض المهاجرين إلى الحبشة كما ادعى ترمينغهام ومن نحى نحوه. والغريب في الأمر أن كثيراً من المؤرخين المسلمين قد ذكروا قصة تنصر عبيد الله بن جحش دون أن يحصوا في درجة صحتها. وفي الحقيقة، فإن كثيراً مما يكتب في السيرة يتساهل في إيراد الأخبار الضعيفة. من ناحية أخرى، فإن علماء الحديث عادة ما يطبقون قواعد مصطلح الحديث في قبول أو رد الأخبار الواردة. ومما يجعلنا نزداد تشككاً في قضية تنصر عبيد الله بن جحش ورود أحاديث صحيحة بشأن موته في أرض الحبشة دون ذكر تنصره فيها. منها ما رواه أبو داود في سننه بسنده عن عروة بن الزبير عن أم حبيبة أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، فمات بأرض الحبشة، فزوجها النجاشي النبي صلى الله عليه وسلم، وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة<sup>35</sup>. فهذا الحديث، وأمثاله، يذكر موت عبيد الله في الحبشة وأن النبي صلى الله عليه وسلم خطبها من النجاشي بعد موته ولا يذكر شيئاً عن تنصره عبيد الله.

نقول في ختام هذا البحث أن تبني الروايات الضعيفة في الدلالة على الحوادث التاريخية، وخصوصاً في الفترة المبكرة لتاريخ الإسلام، يدمر الطريقة التحليلية التي يتبعها المؤرخون، وينتج عنها بالتالي صراع تاريخي. إن علماء الحديث لم يجمعوا فقط الآلاف من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تصف أفعاله وتنقل أقواله، بل نقلوا المئات من الحوادث التاريخية المتعلقة بتاريخ الإسلام نفسه. إن اتباع طريقة علم الحديث الشريف في فحص الأدلة والروايات التاريخية يمكن المؤرخين من دراسة الحوادث التاريخية عن قرب، وفهمها فهماً صحيحاً أقرب إلى الواقع

<sup>34</sup> عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (٣/٣١٠). وقد أورد تريمينغهام خبر ابن إسحاق هذا في كتابه (الإسلام في إثيوبية، ص ٤٦) دون أن ينتبه إلى رواة الحديث، فقد قال: قال ابن إسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، دون ذكر عروة الراوي الأول الخبر.  
<sup>35</sup> الألباني، صحيح سنن أبي داود، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٩)، ٣٩٦/٢، حديث رقم ١٨٥٣.

التي حدثت فيه . والله أعلم بالصواب ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

## مصادر البحث

### المراجع العربية

- الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الجزء ٧. الرياض: دار المعارف، ١٩٩١.
- \_\_\_\_\_ . صحيح سنن أبي داود. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٩.
- \_\_\_\_\_ . ضعيف سنن أبي داود. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩١.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. بيروت: المكتبة الثقافية. بدون تاريخ.
- الجوزية، محمد بن قيس. زاد المعاد في هدي خير العباد. طبعة ٢٦. دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧.
- الحميري، عبد الملك بن هشام. السيرة النبوية. القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٧.
- الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن كثير. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، طبعة ٢. دمشق: مكتبة دار الفيحاء، ١٩٩٧.
- \_\_\_\_\_ . البداية والنهاية. القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٨.
- الدمشقي، محمد بن طولون. إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، طبعة ٢. دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧.
- شاکر، محمود. التاريخ الإسلامي (ج ٢ السيرة النبوية)، طبعة ٧. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٧.
- \_\_\_\_\_ . مع الهجرة إلى الحبشة. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٧.
- الشامي، صالح أحمد. السيرة النبوية: تربية أمة وبناء دولة. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٢.
- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٤.
- الشيبياني، أحمد بن حنبل. المسند. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٩٣.
- الصلاح، أديب. لمحات في أصول الحديث، طبعة ٥. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٨.
- الصلاح، صبحي. علوم الحديث ومصطلحه: عرض ودراسة، طبعة ١٦. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨.
- الطحان، محمود. تيسر مصطلح الحديث، طبعة ٨. الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٧.
- العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. القاهرة: دار الريان للتراث، ١٩٨٦.
- الغزالي، محمد. فقه السيرة، طبعة ٧. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦.
- القشيري، مسلم بن الحجاج. الجامع الصحيح. بيروت: دار الآفاق الجديدة. بدون تاريخ.
- مصطفى، إبراهيم، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، علي النجار. المعجم الوسيط. إستانبول: دار الدعوة، ١٩٨٦.

الوادعي، مقبل بن هادي. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين. صنعاء: مكتبة دارالقدس، ١٩٩١.

#### المراجع الأجنبية

- Erlich, Haggai. *Ethiopia and the Middle East*. L. Boulder: Rienner Publishers, 1994.  
Farsi, Zakī M. *National Guide and Atlas of the Kingdom of Saudi Arabia*. Jeddah: 1989.  
Henze, Paul B. *Layers of Time: A History of Ethiopia*. New York: Palgrave, 2000. Reprint, 2001.  
Prouty, Chris and Eugene Resenfeld. *Historical Dictionary of Ethiopia and Eritrea*, 2d ed. African Historical Dictionaries, no.56. Metuchen, NJ: Scarecrow Press, Inc., 1994.  
Trimingham, J. Spencer. *Islam in Ethiopia*, 2d ed. London: Frank Cass & Co. Ltd, London, 1965.

#### المجلات

- Van Beek, Gus W. "Monuments of Axum in the Light of South Arabian Archeology." *Journal of American Oriental Society*, 87, no. 2 (Apr.-Jun., 1967): 113-122.

#### الشبكة العالمية

<<http://www.alwaraq.com>>